الدعوة الإسلامية وغير المسلمين

المنهج والوسيلة والهدف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

إن الدعوة إلى الإسلام ـ دين الله ووحيه وتشريعه ـ **واجب إسلامي** متجدد ، وشامل للفرد والجماعة ، والأمة والمجتمع ، بين المسلمين وغيرهم ، لإحياء معالم الإيمان الحق ، واتقاد جذوة النور الإلهي في النفس البشرية ، ومن أجل إسعاد الإنسان ، وتحقيق ذاتيته المتكاملة ، ومصلحته ، وإنقاذه في عالم الدنيا والآخرة .

ذلك لأن رسالة الإسلام هي **دعوة التوحيد الخالص** لله عز وجل ، وقاعدة الحق ، والخير ، والعدل ، والسلام ، والمساواة ، والمحبة الحقيقية المخلصة للبشرية قاطبة ، ومنبع هذا الشعور بالمحبة العامة هو المبدأ النبوي العظيم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » والأخ ، كما أوضح الشراح المحدثون ، فهو ليس مقصوراً على أخ الإيمان والملة ، وإنما هو أيضاً أخو الإنسانية ، فيحب المسلم والمسلمة لكل إنسان إيصال الخير له ، والأخذ بيده ، وإعانته في سبيل الوصول إلى عقيدة ثابتة واقعية صحيحة ، تحقق النجاة له ، وتحميه من متاهة الانحراف في التصور ، والاعتقاد بالذات الإلهية ، وبالوحي السماوي وبالأنبياء ، والكتب المنزلة ، وتعصمه من مهاوي القلق والاضطراب ، وأزمات النفس والضمير التي تقود أحياناً ، بسبب الحيرة

والارتباك إلى الانتحار ، كما هو مشاهد في الغرب .

ومن أجل ذلك ، ظهرت حكمة **النزعة العالمية للدعوة الإسلامية** وضرورة تبليغها إلى الناس ، معتمدة على قوتها الذاتية وأصالتها ، وبساطتها ، وواقعيتها التي لا تحتاج إلى كثير من العناء ، ومتخذة أسلوب الإقناع العقلي بالحجة النيرة والبرهان الساطع ، وطريق الحكمة والموعظة الحسنة ، والتزام مظلة السلام والاطمئنان النفسي ، سبيلاً للتوصل إلى الأهداف الكبرى والغايات السامية ، المتجسدة بغرس شجرة الإيمان ، والتفيؤ بظلاله الوارفة في مسيرة الحياة الآمنة .

ومن العجب حقاً في العصر الحاضر أن انتشار الدعوة الإسلامية في كل مكان ، أو في المشارق والمغارب ، وإقبال الناس على الدخول في الإسلام ، وإن كان في الغالب بنحو فردي لا جماعي ، لا نجد له ما يدعمه ويكافئه ، أو ينميه من وسائل فعالة تقوم بها الدول أو المنظمات أو الجماعات الإسلامية ، أو الأفراد المتطوعون للتبليغ على نحو كاف أو مُرْضٍ . ويكاد يكون الحرص على الوصول إلى الحقيقة ، وإدراك قدسية الحق المطلق ، والشعور الفطري بضرورة التفاعل مع الوحي الإلهي المشرق ، والإحساس بالافتقار إلى الذات الإلهية العالية الوحيدة ، هو أساس التوجه نحو الإسلام ، والتطلع إلى ما تجسَّد فيه من أصالة ونصاعة ومطابقة للواقع وحل المشكلات ، ليكون دين الإنسانية في المستقبل . والدعاة المسلمون على الرغم من كونهم على الحق ، وغيرهم على الباطل هم في مناصرة حقهم ضعاف مقصرون ، وغيرهم في تأييد باطلهم كُثُر نشطون ، بسبب تزودهم بطاقات كثيرة ، مادية ومعنوية ، مجندة لنشر العقائد ، من قبل أعوانهم ، سواء من الدول المتقدمة والغنية في مجال التبشير ، أو نشر الخرافات والأساطير البوذية والبرهمية من أتباعها ، أو دعم وتأييد الفِرَق والطوائف المشبوهة

والضالة كالبهائية ، والقاديانية أو الأحمدية ، من المؤسسات الاستعمارية ، أو الترويج للمبادئ العنصرية والمدمرة بالوسائل الماكرة والخادعة ، كالماسونية والروتارية والصهيونية المتغلغلة النشاط في مختلف الأنظمة الدولية والإدارة العالمية ، الاقتصادية والسياسية بل والاجتماعية أحياناً .

والهدف من الدعوة الإسلامية والتبصير بها في الأوساط غير الإسلامية : هو تحقيق الإصلاح الشامل ، والسعادة في المجالات العقدية ، والتربوية الأخلاقية ، والتعبدية ، والمعاملات ، ليتحقق التكامل والانسجام بين الكون والإنسان والحياة ، والتواؤم بين تطلعات النفس في معرفة الحقائق والغيبيات ، وإرواء الظمأ الديني الفطري ، وبين قسوة الواقع ، ومشاق الحياة وتعقيداتها ، واشتمالها على المظالم الكثيرة ، والصراع الحاد لجلب أوفى المغانم بسبب الجشع والأطماع البشرية .

ولا بد في سبيل إنجاح الدعوة إلى الله تعالى ، وإلى دين الإسلام الخالد رسالة جميع الأنبياء والرسل ، من التأمل في **العوائق والحواجز** التي تواجه الدعاة ، ومن أهمها اثنان : حاجز العقيدة الأخرى ، وعائق مفهوم الحضارة والقيم لدى الآخرين ، ومما يذلل تجاوز هذين العائقين : أن المبشرين بالأديان الأخرى إنما يعتمدون في الغالب على عنصر الابتزاز والإغراءات المادية والمساعدات الصحية والمعيشية ، لاستمالة قلوب الفقراء والضعفاء ، ونحن في دعوتنا إلى الإسلام إنما نعتمد أولاً وقبل كل شيء على نصاعة جوهر الحق والحقيقة ، والبعد عن التعقيدات ، والاعتماد على قوة الحجة والمنطق ، وإقناع العقل ، وتزويد الفكر بالبراهين الساطعة والأدلة اليقينية .

والعامل المساعد الآخر : هو أن المسيطر على العقل والحياة الحاضرة أو الحضارة الحديثة السائدة : هو أنها حضارة مادية ترفيهية محضة ، تُعنى بتقديم الخدمات المريحة ، وتوفير الدخل المالي الذي يحقق الاطمئنان والترف ، واللهو والمجون في أكثر الأحيان ، واستبعاد كل فكر غيبي أو روحي ، وإهمال دور القيم غير النفعية التي لا تعود على الإنتاج بالنمو والازدهار ، ووفرة التوزيع والتصدير . أما مفهوم الحضارة الإسلامية فهي الجمع بين المادة والروح ، والتزام الوسطية الداعية إلى العناية بمتطلبات الدنيا ، والتزود للحياة الأخروية ، من دون إفراط ولا تفريط ، ودون إهمال لمبدأ الحرص على نشر العدالة الاجتماعية والرخاء الاقتصادي ، سواء للفرد أو للمجتمع ؛ لأن قوة الدولة بقوة أفرادها ، وسلامة اقتصادها يساعد على إنجاح مهامها المتعددة ، ومنها نشر القيم الإسلامية ، والاقتناع بمفاهيمها الحضارية النشطة ، والشاملة لكل مناحي الحياة .

خطة البحث :

تحقيقاً لما تقدم ، وحرصاً على إنجاز ما توسمت من التوصل في هذا البحث إلى بيان غايات الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر مع غير المسلمين ، أسير على هدي الخطة الآتية :

ـ منطلقات الدعوة الإسلامية : الإلزام الإلهي ، والنزعة العالمية للإسلام .

ـ منهج الدعوة .

ـ وسائل الدعوة .

ـ أهداف الدعوة .

منطلقات الدعوة الإسلامية

ليس الحرص على نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للعالم ناشئاً بأي حال من الأحوال من مفهوم نفعي ، أو مصلحة مادية ، أو رغبة في بسط النفوذ والتفوق والسيطرة ، وإنما هو قائم على أساس الإسهام في إعانة الإنسان على إدراك حقيقة المبدأ والمصير ، ومعرفة واقع الحياة ، والتخفيف من المعاناة ، والتخلص من المآسي التي يصطدم بها في مسيرة عمره ، أو بعد بعثه من قبره .

وسبب الدعوة والتفرغ لها أو بذل بعض ألوان النشاط في سبيل إنجاحها ، هو تنفيذ التكليف الإلهي ، الذي بدا بصورة أوامر تشريعية إلزامية في النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة . وتتمثل منطلقات الدعوة الإسلامية في أمرين : الإلزام التشريعي ، وعالمية الدعوة .

أولاً ـ الإلزام التشريعي بالدعوة إلى الله تعالى :

ختم الله النبوات والرسالات الإلهية بالنبي محمد ﷺ ، وبالقرآن العظيم الذي أكمل الله به الدين وأتم النعمة ، وجعله هو اللسان الوحيد الناطق بمراد الله ، الثابت بحق ، المصون عن التحريف ، المعبِّر عن الوحي الإلهي ، المتضمن خطاب الله تعالى بالشرائع والأحكام ، والحلال والحرام ، وبيان أصول الدين والإيمان ، وأركان التشريع والإسلام ، أي أن الدين الثابت هو واحد ، ولا تعدد في الأديان ، كما لا يمكن القول بوحدة الأديان في عالم وواقع يظهر فيه التغاير والتناقض

والتصادم ، مما يثير الشك ، بل ويوجب القطع واليقين بأن الحق واحد لا يتعدد .

والدين الإلهي في جوهره وأصوله وغاياته واحد لا تعدد فيه ، تكمل كل رسالة إلهية ، وكل كتاب منزّل ما تقدمهما من رسائل وكتب وصحف ، ومبناها كلها الإصرار على الدعوة إلى توحيد الإله الخالق ، والإقرار بوجود الذات الإلهية المهيمنة على جميع أنحاء الكون والمخلوقات في الأرض والسماء ، وتصحيح العقائد الباطلة ، والعبادة المشوهة ، والأخلاق المعوجة ، وإقامة البدائل الصحيحة الثابتة التي تنشد خير الإنسان وإسعاده ، وتتجاوب مع نداءات الفطرة السوية ، وتتفاعل مع الفكر الحر ، والعقل السديد ، ومع حكمه على الأشياء بما يقنع ، ويتفق مع الواقع .

وتكررت آي القرآن المجيد في التأكيد على حقيقة تصديقه الكتب السماوية السابقة والهيمنة عليها ، وتفصيل ما أجمل منها ، أو إيقاف سريان ما لم يعد صالحاً منها ، فيما يتعلق بجزئيات الأحكام وفروعها ، لا في أصول العقيدة والأخلاق والفضائل ، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١] . وجاء في مطلع سورة آل عمران : ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ . .﴾ [آل عمران : ١ـ٤] .

وتلا ذلك التعبير عن الهيمنة والسيادة للقرآن على الكتب السابقة في سورة المائدة :

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا

عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المائدة : ٤٨] .

قال الفخر الرازي : إنما كان القرآن مهيمناً على الكتب ؛ لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخاً البتة ، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف ، على ما قال الله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] . وإذا كان كذلك ، كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبداً ، فكانت حقيقة هذه معلومة أبداً[١] .

وأوضح النبي ﷺ ختم الشرائع برسالته حيث قال : « إن مثَلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثَل رجل بنى بيتاً ، فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[٢] .

يتبين من هذا أن دعوة الإسلام امتداد لتلك الدوحة المباركة ، وهي النور الإلهي المضيء للبشرية دروب الحياة ، ومجاهيل التحركات الإنسانية ، وهو الإسلام الخالص لله ، المتمثل بالخضوع لأوامره ، والمقيم على التوحيد لله ونبذ الشرك ، والتوجه إليه سبحانه بخالص العبادة والطاعة ، وهو الذي عبرت عنه الآية الكريمة :

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران : ١٩] وهو الذي جعل نبي الإسلام يسير في درب من قبله من الأنبياء على الحق والهدى والرشد المنزَّل ، لا المبدّل ، لذا أمره الله أن يقول :

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : ٩] .

---

(١) التفسير الكبير للإمام الرازي ١٢/ ١١ .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وعملاً بموجب التكليف الإلهي أمر النبي عليه الصلاة والسلام بتبليغ دين الله وشرعه ، كما وصفه ربه بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ـ٤٦] بل أمره الله بالمواظبة على التبليغ ، وإعلان الدعوة إلى الحق والخير والتوحيد ، في قوله سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

والعلماء المسلمون ، كل واحد بمقدار معرفته وطاقته ، هم خلفاء النبي وورثته في تبليغ الرسالة الإلهية ، والوحي القرآني ، والأحكام التشريعية المبينة من النبي الرسول ، وهم المطالبون برعاية أمانة التكليف الإلهي ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . وجاء الأمر القرآني صريحاً بلزوم الدعوة والتبليغ في قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] . وتأيد هذا بالحديث النبوي المتواتر الآمر صراحة بالتبليغ : « نضَّر الله امرأً سمع مقالتي ، فوعاها ، فأداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »(١) .

وفي خطبة النبي في حجة الوداع : « ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى من بعض من سمعه »(٢) .

---

(١) رواه الشافعي وأحمد والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود ، والترمذي والضياء عن زيد بن ثابت .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن ابن مسعود ، والترمذي عن عمرو بن الأحوص ، وغيرهم .

وهؤلاء المأمورون بالتبليغ ونشر الدعوة الإسلامية : هم صحابته الكرام ، والأجيال المتعاقبة إلى يوم القيامة ، ويشمل ذلك هداية القرآن الكريم ، والسنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية ، المتضمنة جميع ما شرعه الله ، وجعله نظاماً للحياة في الاعتقاد ، والعبادة ، والتشريع والمعاملات ، سواء في نطاق الأسرة الخاصة ، أو الأسرة المسلمة ، في اتباع نظام الأخلاق والتعامل ، أو الأسرة الإنسانية الكبرى في الدعوة إلى توحيد الله ، والتزام الأخلاق والفضائل .

ولم يكن التبليغ مجرد اختيار وأدب ، بل واجباً شرعياً ، يأثم من أهمله أو تركه أو فرط في شيء منه ، أو كتم حكماً من أحكام الشرع الإلهي ، بدليل أن الله توعد الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات في صريح القرآن المحكم بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٥٩ـ١٦٠] .

ولم تكن دعوة القرآن إلى توحيد الله ، وإقامة معالم الحق والهداية والاستقامة ، إلا لخير الإنسان والإنسانية .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء : ٩ـ١٠] .

والعمل في الخير ، والإصلاح ، والإرشاد إلى الخير ، ومحبة الخير وإسعاد الإنسان ، يقتضي ذلك كله امتداح أهل الخير ودعاة الخير والإصلاح ، على الدوام ، لذا قال الله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [السجدة : ٣٣] . والمعنى

كما قال القرطبي[١] : (ومن أحسن قولاً من الداعي إلى الله وطاعته ، وهو محمد ﷺ) . وهذا ينطبق على من يقوم بمهمته في الدعوة بعده أيضاً ، لأنه الأسوة الحسنة .

وإذا كانت أحداث الزمان والتاريخ تطلع على الدعاة كل حين بألوان من الصدّ والإعراض ، ويصطدمون بالمصاعب الشاقة التي تحول دون استجابة المدعوين إلى تصحيح عقائدهم ، فهذا دليل على أنهم على حق ، وأن المعادين أو المعرضين وإن كثروا ، فتلك سنة الله في جعل أهل الحق قلة ، وأهل الباطل كثرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود : ١٧] . ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٣] . ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٢] .

ثانياً ـ عالمية الدعوة الإسلامية أو النزعة العالمية للإسلام :

المدعوون إلى الإسلام هم الثقلان من الإنس ـ أي جميع الأمم والشعوب والأفراد ـ والجن ، أي عالم الخفاء ؛ لأن هذا الدين رسالة الله الخالدة ، ومنهجه الذي لا يعرف العنصرية ، والقومية ، وامتياز الأجناس ، والانغلاق على الذات المؤمنة به ، وإنما هو دعوة متفتحة عالمية ، أو ذات نزعة عالمية ، يراد بها تعميم الخير للبشر ، والوفاء بحاجات الإنسان والإنسانية ، وقيادة البشرية ، وإسعاد الكل ، فكان بذلك قاعدة المحبة الخالصة والشاملة ، ومحور اجتذاب أنظار العالم ، فهو ليس كالعصبيات الجاهلية الممقوتة ، ولا كالديانة اليهودية المغلقة ، ولا كالنازية العرقية التي تفضل الجنس الآري أو الألماني على

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٠ .

بقية شعوب العالم ، أو النزعات الأوربية العنصرية التي تفضل أصحاب الدم الأزرق على كل من عداهم ، وإنما دعوة الإسلام شاملة غير مقصورة على جنس معين أو فئة معينة أو طبقة معينة .

وما أكثر **الأدلة النصية والموضوعية** الذاتية على عالمية الإسلام ونشدانه خير الجميع .

أما **الأدلة النصية على العالمية الإسلامية** من الكتاب والسنة فهي كثيرة ، منها ما يلي : قول الله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨] .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] . ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

ومنها قول النبي ﷺ : « . . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة »[١] . وفي رواية الإمام أحمد « أعطيت خمساً : بعثت إلى الأحمر والأسود »[٢] . وفي رواية الإمام مسلم : « أرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » .

علق ابن كثير[٣] على الآيات والأحاديث الواردة في هذا الموضوع قائلاً بعد الآية الأولى :

وهذا آي : ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ، وقوله تعالى : ﴿إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ أي جميعكم ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٢) قال ابن كثير : إسناده صحيح ، ولم أرهم خرّجوه .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٥٤ـ٢٥٥ .

وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾ [هود : ١٧] وقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ [آل عمران : ٢٠] والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الإسلام ، ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم .

لهذا كله جاءت الخطابات في العقيدة والعبادة بصفة الناس والآدمية ، فقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة : ٢١] ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

وأما الأدلة **الموضوعية على عالمية الإسلام** ، وهي المقومات الأساسية التي اشتمل عليها الدين الإسلامي ، فهي أيضاً كثيرة .

١ـ **قانون الفطرة** : أو الانسجام مع الفطرة الإنسانية الأصلية : وهي أن الله تعالى خلق كل نفس على فطرة التوحيد لله ، والإقرار بوجوده والاعتراف به ، كما تصور الآية الشريفة : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . أي أن الإنسان بأصل تكوينه النفسي والعقلي مستعد بمقتضى هذه الفطرة السليمة المخلوقة ، والأصالة ، للاهتداء والإيمان بوجود الله وتوحيده ، ما لم تنتكس هذه الفطرة ، وتفسدها التربية والتوجيه والبيئة ، واتباع الأهواء الموروثة . وهذا ما أوضحه الحديث النبوي الثابت : « ما من مولود إلا يولد على

الفطرة[١] ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[٢] ، هل تحسون فيها من جدعاء »[٣] ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[٤] [الروم : ٣٠] .

٢ـ **التوافق مع العقل السليم والعلم** : ما من عقيدة أو عبادة أو شريعة أو حكم بالحل أو الحرمة في الإسلام إلا وهو متفق مع مقتضى العقل السليم والفكر الصحيح . وما من إشارة علمية في القرآن إلا وهي متطابقة مع مكتشفات العلم الثابتة ، والنظريات العلمية الصحيحة ، ولا تعارض بين الشرع الإلهي والعقل البشري والعلم المكتشف في شيء على الإطلاق ، ولقد كرم الإسلام والقرآن الإنسان بالعقل ، وقامت شريعة الإسلام على العلم والمدنية والتحضر ، وكرم الله أهل العلم في قرآنه تكريماً لا نظير له .

قال الله تعالى واصفاً مضمون رسالة النبي الكريم :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] . وما أصح وأقوم موقف ذلك العربي المتفتح الأعرابي ، حينما سئل عن سبب دخوله الإسلام ، فقال : لأنني لم أر محمداً يأمر بشيء والعقل ينهى عنه ، ولا ينهى عن شيء والعقل يأمر به . وهذه الأصالة النيرة هي المعبر عنها في

---

(١) أي : أصالة الاستعداد لقبول الإيمان بالله ، والدين الحق القيم ، أي ذي القيمة الكريمة .

(٢) أي : تامة الخلق .

(٣) أي : مقطوعة الأذن أو الأنف أو ناقصة الخلق .

(٤) رواه مسلم والموطأ والترمذي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه (جامع الأصول ١/١٧٨) .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

٣ـ قيام مبادئ الإسلام على الحرية والعدل والمساواة والشورى ، قال الله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] وقال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل : ٩٠] وقال عز وجل : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وقال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] . وقال عمر رضي الله عنه : (متى تعبدتم ـ أو استعبدتم ـ الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال النبي ﷺ : « الناس كأسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى »[(١)] . وبذلك حقق الإسلام المساواة بالفعل بين الناس ، منطلقاً من الوحدة الإنسانية التي تنبذ التمييز بسبب العنصر أو العرق أو الثروة أو اللغة أو التفوق العلمي والحضاري .

٤ـ تلاقيه مع أصول الأديان السابقة : في دعوتها إلى توحيد الله ، وإقرار الحق والعدل ، وأصول الاعتقاد والإيمان ، والأخلاق والفضائل ، قال الله تعالى :

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣] .

٥ـ وسطية الإسلام : بالجمع بين مطالب الدين والدنيا ، والروح والآخرة ، وبين الثوابت الجذرية أو الأساسية ، والمرونة في الاجتهاد

---

(١) رواه ابن لال والشجري في أماليه وغيرهما (سبل السلام ٣/ ١٢٩) .

والتطبيق ، والسماحة واليسر ، وعدم إعنات الناس وتكليفهم بالحرج والمشقة . قال الله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧] . وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا - أي : عدولاً - لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] . وما أكثر آيات دفع الحرج ، وإعلان السماحة ويسر الأحكام الشرعية ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] وقوله عز وجل : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وكان لهذه المقومات تأثيرها في انتشار الإسلام في المشارق والمغارب ، فما من قطر في العالم إلا وفيه مسلمون ، وإن كان الأمر يحتاج لمزيد من الدعوة والتخطيط لها ، وإمداد الدعاة بالوسائل المادية والمعنوية ، والعلمية ، والفكرية ، التي تمكّنهم من تأدية مهماتهم على الوجه الأكمل ، سواء في البلاد التي يوجد فيها مراكز ومساجد إسلامية ، أم التي تُقْفر منها المؤسسات الدعوية الإسلامية الرشيدة . وهذا الاتساع والامتداد الإسلامي أثر من نبوءة النبي ﷺ الذي أخبر بمغيبات كثيرة في المستقبل ، فقال في هذا الصدد : « إن الله زَوَى[١] لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها[٢] ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض[٣] »[٤] .

---

(١) أي طوى وضم وجمع .

(٢) هذا من معجزاته ﷺ ، لأن ملك أمته بلغ من المشارق والمغارب كثيراً واسعاً .

(٣) أي كنوز الذهب والفضة من بلاد فارس والروم .

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ثوبان رضي الله عنه (جامع الأصول ١٢/ ٦١) .

ويمكن إيجاز مقومات هذا الدين التي جعلته ينتشر بقوة ذاتية فيه ، ألا وهي أنه حق ونور ، فهو دين الحق المطابق للحقيقة والواقع والصدق ، إذا قورن باليهودية بأنها دين عنصري منغلق مقصور على اليهود ، أو بالمسيحية بأنها دين المحبة والسلام ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٩] . وهو نور يبدد ظلمات النفس والبيئة والمجتمع ، لأنه يرشد إلى أقوم الطرق ، وأسلم المناهج والسبل ، ويعتمد على قاعدة السلم والأمن والسلام ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] . فالنبي نور والقرآن نور ، والمؤمنون الذين اتبعوهما هم أهل النور والمعرفة والقدوة الحسنة ، وقد وصف الله نبيه بقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

* * *

منهج الدعوة الإسلامية

إن من أهم أسباب النجاح في نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للعالم هو ارتكازها على منهج قويم ، أو خطة إلهية محكمة ، يتمثل في التصدي المباشر لواقع الحياة وقضايا العقيدة ، وتستوعب كل ألوان النشاط الفكري والمادي ، وعلاج العلاقات الثلاثة : علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بخالقه .

فلا يفر الدعاة من الإسهام في حل مشكلات الإنسان المعيشية ، فيوجهونه نحو العمل والإبداع ، والإفادة من ذخائر الكون ، واستخراج خيرات الأرض ، كما وجّه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] أي إن كل شيء مختص بالناس مباح لهم ، مخلوق لهم على جهة الانتفاع الخاص بهم ، ومن أجل استثمار خزائن الدنيا وخيراتها ، كما جاء في آية أخرى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] . ويكون المبدأ هو العمل الجاد لخيري الدنيا والآخرة .

ويقوم الدعاة بتصحيح العقيدة التي تفسر للناس حقيقة الكون والحياة والوجود الإنساني ، وبيان نظام العبادة الأمثل المرضي لله عز وجل ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق ، والعناية بمصالح المجتمع وما يرشد إلى العادات الحسنة والأعراف الطيبة الصالحة ، والتركيز على حقوق الإنسان وحرياته وكرامته وصونها ، والجمع بين مطالب الجسد والروح على نحو يحقق التوازن والانسجام ، وتحكيم العقل واحترام

حكمه فيما أهّله إليه الشرع من ممارسات في الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية ، وإعمال الفكر في حل مشكلات الحياة وعقَدها المادية ، وتنمية المشاعر والعلاقات الإنسانية على أساس من السلام والاستقرار ، والأمن والاطمئنان ، والعدل ، وترك الاستغلال غير المشروع ، والجور ، ومحاربة التمييز العنصري ، والطبقي بمختلف أشكاله .

والإسلام في منهجه إنساني النزعة ، حريص على إغناء القيم العليا ، يقيم دعائمه على ثوابت دائمة ، وكليات وقواعد عامة ، مع مراعاة مقتضيات التجديد والتطور ، والمرونة في التنفيذ والتطبيق ، والتفاعل مع متطلبات الحياة ، وتحقيق المواءمة والانسجام مع مقاصد الشريعة ، وأهدافها الكبرى ، وروحها التشريعية العامة .

ومن ضوابط منهج الدعوة الإسلامية : الحفاظ على الأصالة والمعاصرة ، أما الأصالة : فهي التزام ما جاء به الوحي الإلهي ، جملة وتفصيلاً ، في الأحوال المعتادة ، وضمن الطاقة أو الاستطاعة . وأما المعاصرة : فهي التكيف مع التطورات والأحوال المستجدة في الفروع والجزئيات لا في الأصول ، والتعايش معها بالأسلوب المناسب ، وتحقيق الغاية معاً ، ولكن على أسس شرعية مقبولة وفي ضوء المعايير الأصلية للشريعة ، والاستفادة من الأحكام الاستثنائية والرخص الشرعية في حال الضرورة أو الحاجة .

ومن مقتضيات المعاصرة : مواكبة التقدم والأخذ بأساليب التحضر ، والأنظمة الإدارية أو العملية في مجال الاجتماع والاقتصاد ، واستعمال كل وسائل الخدمات الحديثة في الكتابة ، والخطابة ، والإعلام ، واللغة العصرية ، والتقنية الحديثة ، والمعروضات المبسطة

في « الأفلام » التعليمية ، والصحية ، والثقافية ، والزراعية وغيرها ؛ لأن الإسلام دين الحياة .

ولا بد من الاستفادة مما يسمى اليوم بالصحوة أو اليقظة الإسلامية وترشيد الجيل ، وتسليح النشء بضوابط العلم ، والمعرفة ، والحكمة ، والجرأة والشجاعة من غير تهور ، وإثارة العاطفة الدينية من غير تشدد ولا تنطع ، وفهم فكر العصر ومتطلباته من غير تصادم مع أصول الشريعة ، والأخذ بالحذر والفطنة والوعي ، والبعد عن التورط في مواجهة الخصوم الأقوياء ، حتى لا يعجل العدو بإجهاض كل تحرك إسلامي أو القضاء على أي تطلع ديني ، فنقع في خسارة كبرى . كما لا بد من الاعتزاز بالكرامة ، وعزة النفس ، سواء من الدعاة أو المدعوين ، ولا داعي في تقديري لإعلان الحكم السريع أو المباشر بتكفير أحد أو المساس بكرامته ، حتى لا نخسر الصديق ، ولا نفرط بالأهل والقرابة ـ قرابة النسب والفكر ، والأخوة ، والدين ، والبلد والوطن والقبيلة والعشيرة ـ فإن أول ما طولب به النبي ﷺ إنذار الأقارب ، للتقوي بهم ، عند دعوة الأباعد إلى دين الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤ـ٢١٥] .

ويكون احترام ملكات الناس واختلاف ظروفهم النفسية والعقلية والاجتماعية من أصول منهج الدعوة الحكمية[١] .

عوائق الدعوة : إن من أهم المشكلات المعاصرة التي ينبغي تجاوزها بنجاح في منهج الدعوة الإسلامية هو حاجز العقيدة ، ومفهوم الحضارة الحديثة .

---

(١) جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن للدكتور رؤوف شلبي : ص ٤٣ .

أما **حاجز العقيدة** : في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، فهو الجدار الصعب الذي ليس من السهل تخطيه ؛ لأن الناس توارثوا عقيدة معينة ، وتأثروا بها في نطاق الأسرة والتربية وفي المجتمع . وهجر تلك الموروثات والتقاليد صعب عسير ، يتطلب حكمة الداعية ومحاولة فهم وإدراك أصول تلك العقيدة ، سواء أكانت وثنية كما في بعض البلدان الإفريقية أم سماوية يهودية ومسيحية . ويأتي الحوار الهادئ ، والاعتماد على العقل والمنطق ، والإقناع بالبراهين النقلية والعقلية في طليعة المناهج السديدة لدعوة هؤلاء إلى الإسلام .

أما العقائد الوثنية وأهلها الوثنيون : فربما كانت الدعوة إلى الله بينهم في عصرنا الحاضر أيسر وأسهل من دعوة أهل الكتاب ؛ لأن عقائدهم بالية ، لا يساندها منطق ، ساذجة خرافية لا يؤيدها عقل سليم ووعي صحيح . هذا بالإضافة إلى أنه لا توجد دول تتقبل أو تتحمس لمساندة الوثنية في عقلية القرن العشرين وما يليه . ومن هنا تنبغي المبادرة إلى توجيه هؤلاء الوثنيين ، ونقلهم إلى فكرة الدين أولاً ، ثم بيان حقيقة الإسلام الذي يتجسد فيه وَحْده صورة وحقيقة دين الله ووحيه وشرعه .

وأما أهل الكتاب فكانوا منذ بدء الدعوة الإسلامية وعلى ممر العصور أكثر مكراً وخداعاً ، وتخطيطاً وعداوة ، ومواجهة للإسلام والمسلمين ، كما في الحروب الصليبية وتأثيراتها إلى الآن ، وإيجاد دولة إسرائيل ، ولكنهم في الواقع هم أولى بالإيمان الصحيح ؛ لأن بينهم وبين الإسلام جسور التقاء ، تعتمد على مفهوم الإيمان الأصلي بالله ووجوده ووحدانيته ، وباليوم الآخر للحساب والجزاء ، ولديهم موروثات أخلاقية صحيحة ، لذا كانت أغلب كتب النبي ﷺ بعد الهجرة

إلى المدينة لإثبات عالمية الإسلام إلى الملوك والأمراء من الكتابيين ، وفيها كلها الآية الكريمة : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وأما عائق **المفهوم الحضاري المعاصر** : فهو واضح التأثير في الوسط الغربي ، حيث الحرص على المادية الطاغية العمياء ، والإقبال الشديد على ألوان الترف المعيشي ، وانتهاب اللذات ، والتحلل من كثير من قيم الأخلاق ولا سيما العرض . ومحاولة تجاوز هذا المفهوم سهل ، ببيان أن الإسلام دين يدعو إلى المادة والروح معاً ، وإلى توفير مطالب الجسد والروح ، ولا يهمل نداءات أحدهما أو دواعيه .

والمنهاج القرآني واضح كل الوضوح في هذا الجانب ، حيث تتكرر الآيات الداعية إلى العمل والابتكار والإفادة من خيرات الدنيا ، وجعل الدنيا مزرعة للآخرة ، مثل قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [القصص : ٧٧] . ويقول النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[1] .

* * *

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (جامع الأصول ١٠/ ٥٢١) .

وسائل الدعوة

تتطلب وسائل الدعوة الاعتماد على أصول ثلاثة وهي :

١ـ التزام المنهج الإلهي والأسلوب القرآني المحكم في تبليغ الدعوة ، والتأسي بفعل الرسول ﷺ في دعوته إلى دين الله بما ثبت في سيرته الشريفة ، في العهد المكي والعهد المدني .

٢ـ الثقة بأن النصر مع الصبر ، وأن الصدق والإخلاص لله تعالى ، والموضوعية والتجرد ، والقدوة الحسنة أساس النجاح .

٣ـ ترك العجلة في تحقيق النتائج وربط الأمور بالأسباب الكونية ، والتفويض إلى الله تعالى والثقة به والتوكل عليه في الظفر بالهدف وإدراك الغاية .

وفي **الجانب الاعتقادي** : لا بد من حل الألغاز والمشكلات ، وإزالة الشبهات العالقة بالأذهان ، سواء في وسط المتعلمين والمثقفين ، أم في الوسط العامي . وتلك المشكلات هي محور الدراسات الفلسفية منذ القديم ، وهي :

١ـ **قضية الوجود** : وهنا نجد كل إنسان يتساءل عن أصله ، وسبب وجوده ، وعن أصل الكون وخالقه ، وهل وجد الكون والإنسان بالمصادفة ، أو بإيجاد الخالق المبدع الذي أحسن كل شيء خلقه ؟

٢ـ **قضية المعرفة** : والتساؤل يكون عادة عن أنواع المعرفة ومصادرها ، وخصائصها اليقينية وحدودها ، ومدى الاقتناع

بالغيبيات ، وكيفية الاستفادة من المحسوسات ، ودورها ، والاعتماد عليها في التقدم والاختراع ، وأن الفكر الغيبي لا يتنافى بحال مع الإبداع البشري لعمارة الدنيا وتقدمها .

٣ـ قضية القيم : وهنا يدور البحث حول المعايير الأخلاقية والفلسفية التي تحكم السلوك البشري ، ومصادرها وأبعادها الدينية والإنسانية والموضوعية ، ومدى تجاوبها مع عنصر الخير والشر ، وهل القيم المادية وحدها هي المحققة للنفعية والمصلحة أو الجدوى ، أو أن القيم الروحية معها خير دائم ومساند وموجه لتلك القيم المادية وترشيدها ، لأنه كما قال السيد المسيح عليه السلام : (ليس بالرغيف وحده يحيا الإنسان) . وهذا يؤدي إلى ضرورة معالجة قضايا المال والاقتصاد ودورها في الحياة ، ومعرفة الأنظمة السائدة في العالم من رأسمالية واشتراكية ووسطية اعتدالية .

وهذه القضايا ذاتها هي وليدة الشعور الفطري ، والإحساس الذاتي ، فالفطرة نفسها تدفع الإنسان إلى التفكير ، والبحث في الجواب عن التساؤلات الثلاثة : من أين ، وكيف ، ولم ، وإلى أين ؟ أي من الخالق الموجد ؟ وهنا يأتي دور الأنبياء والرسل والوحي الإلهي الذي يرشد الإنسان إلى حقيقة الإله ، وأنه بالعقل والمنطق الصحيح هو الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفواً أحد ، وإلا عاش الإنسان في قلق واضطراب ، ولا يصل إلى شيء .

وكيف ولم تم الخلق ؟ وما رسالة المخلوق ؟ وهنا نجد القرآن يجيب : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] والعبادة لله وحده : تعني الاعتزاز بالإنسانية ، والتنعم بالحرية والكرامة ، وتحقيق

الامتثال والطاعة للمعبود الذي يستحق العبادة وحده ، لعظمته وآلائه أو نعمه . وهذا يدلنا على أن التكليف الإلهي بالعبادة وغيرها عمل سديد وصائب ، من أجل خير الإنسان نفسه وإسعاد البشرية .

وإلى أين المصير والهدف ؟ وهذا محور كل تساؤل عن الغيبيات والمستقبل ؛ لأن الحياة قصيرة ، ومرحلة ما بعد الموت مهيبة ، والفناء والانتهاء الأزلي غير معقول ، بل لا بد من وجود عالم يمتلئ عدلاً ، كما ملئت هذه الأرض ظلماً وجوراً . لذا كان الإيمان بالغيب من أصول الإسلام ، وكان مطلع آيات السورة الثانية (البقرة) هو : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة : ٣] .

وتنحصر وسائل الدعوة في ثلاث[1] : التبليغ بالقول ، وبالفعل ، وبالتأسي .

أما **التبليغ بالقول أو بالكلمة الواعية الهادفة** : فهو مفتاح النجاح ، وهو الأصل في أيِّ دعوة ، لأنه بالتخاطب والتفاعل مع المشاعر والعواطف ، والنظرات ، والمواقف ، يتبين مدى التأثر ، ويدرك الداعية المتكلم جدوى الاستمرار بالحديث ، وإلا توقف أو عاد مرة أخرى بأسلوب آخر .

وكان القول هو أول إعلان صريح للأنبياء والرسل في دعوة أقوامهم لترك عبادة الأصنام والأوثان ، والإيمان بوحدانية الله ، وترك فواحش الأفعال ، والتحلي بغرر الخصال والفعال ، وذلك مثل قوله تعالى في حكاية فعل نوح عليه السلام : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف : ٥٩] . وحكاية تبليغ موسى رسالته

(١) أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان : ص ٤٥٢ وما بعدها .

لفرعون : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٤] وقيام النبي ﷺ بتبليغ دعوته إلى الناس قاطبة : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٧٠] . ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس : ١٠٨] .

والقول يشمل الحوار ، أو النقاش ، والجدال الهادئ بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمحاضرة ، والدرس ، والخطبة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكذلك الكتابة وربما تكون أوقع من القول ، وأكثر دقة وجدية ، وحصراً للمشكلة والهدف ومنع الجدل المثير .

وأما **التبليغ بالفعل** : فهو العمل الفعلي على بناء صرح الحق والخير وإقامة المعروف من بناء مسجد أو مدرسة أو مشفى ، أو مبرة للعجزة والشيوخ ، أو مؤسسة للمعاقين من الصم والبكم والعمي ونحو ذلك ، أو العمل على تقويض الشر وعوامله وإزالة المنكر ومنع روافده ، وهذا يتطلب أمرين :

١ـ القدرة على إزالة المنكر ؛ لأن مراتب إزالة المنكر معروفة : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[1] .

٢ـ ألا يترتب على المطالبة بإزالة المنكر ضرر أعظم أو منكر أكبر ،

---

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

أو شر جسيم ، فإذا كان الإنسان مثلاً عاملاً في معمل أو مصنع أو وظيفة ، وشاهد العامل رب العمل في منكر ، فإن رأى استعداداً للإصلاح ، فعل ما يراه مناسباً ، وإلا سكت ، حتى لا يقطع رزقه بيده .

وأما **التبليغ بالتأسي أو بالسيرة الحسنة** : فهو الترجمان الصادق لمدى اقتناع الداعية بما يقول ، فيتطابق القول مع العمل ، وتكون السيرة الطيبة ، والأخلاق الحميدة ، والأفعال الكريمة للداعي أكثر تأثيراً من القول البليغ أو الفعل الذي قد يكون مجاملة أو من غير اعتقاد . وقد انتشر الإسلام في إندونيسيا وجنوب شرقي آسيا وفي إفريقية وغيرها من البلاد بالسيرة الحسنة للتجار المسلمين .

واستدلت السيدة خديجة رضي الله عنها بحسن سيرة محمد الشاب على سلامة ما تعرض له من شدة وطأة الوحي على نفسه في غار حراء ، فقالت له : (كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل[١] ، وتكسب المعدوم[٢] ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق)[٣] .

والقدوة الحسنة تتطلب أمرين : حسن الخلق ، وتوافق القول والعمل ، وجماع الخلق الذي استحق به النبي ﷺ الإشادة به ومدحه هو ما تخلق به من أدب القرآن في قوله سبحانه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] . ونددّ القرآن الكريم بفعل أولئك الذين تتناقض أفعالهم مع أقوالهم ، فقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

(١) الكَلّ : العيال والثِّقْل .

(٢) المعدوم أو المعدِم : الفقير المحتاج .

(٣) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٢ـ٣] .

ويُلاحظ أن **رسالة المسجد** تسهم إسهاماً كبيراً وفعالاً في نشر الدعوة الإسلامية ، سواء في دور المسجد التربوي والروحي ، بأداء الصلوات المفروضة والمندوبة وتلاوة القرآن ، واستماع الدروس والخطب والمواعظ ، أو في دوره العملي ونشر ألوية المعرفة ، وتثقيف الجيل بثقافة رصينة متماسكة ، تعصم من الانحراف ، وتشغل بالعلم النافع ، وتربي النفس على حب المعرفة ، وتكوين الملكات العلمية والخلقية والأدبية ، بحضور حلقات العلم والتأسي بشخصية المربي الثقة ، والموجه إلى الله والقيم العليا توجيهاً سديداً ، تأسياً برسالة ومهمة النبي ﷺ القائل : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (أو) صالح الأخلاق »[1] .

وهناك صلة وثيقة بين **الإعلام والدعوة** : حيث يكون الإعلام الحديث من علم وفن في الدعاية والإخراج مؤثراً تأثيراً بيناً في الصغار والكبار ، مثل تأثير الدعوة أو التبليغ من أمر بمعروف ونهي عن منكر ، ووعظ وإرشاد ، لأن الإعلام وبخاصة في وسائل الإذاعة المرئية (التلفاز) له تأثير جذاب ، يسيطر على المشاعر والأحاسيس والعادات والتقاليد ، والأفكار والميول ، والسلوك الشخصي وممارسة العادات الحسنة ، من خلال عروض مثيرة ، أو رؤية عبرة لحادث ، أو توجيه نحو فضيلة ، أو إبعاد عن رذيلة . وقد استطاع الإعلام قي الوقت الحاضر التأثير على الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، فإذا استفيد من وسائل الإعلام المعاصرة في التربية

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الدينية ، والخلقية وإثارة المشاعر الإنسانية الكريمة ، والترغيب في أنماط السلوك الإيجابية أو السلبية النافعة ، استطاع الدعاة الوصول إلى غايات ، وأهداف إصلاحية ملموسة .

وتتجلى فوائد الإعلام من خلال أقنية ومسالك كثيرة ، أهمها :

اختيار شخصية الداعية ، ودراسة الفكرة المراد غرسها والتخطيط لها ، والاعتماد على وسائل الاتصال المباشر بالجماهير في أوسع رقعة ممكنة ، بالمشافهة والوسائل السمعية والبصرية معاً (الإذاعة المرئية والمسموعة والمسرح ونحو ذلك) ، والوسائل البصرية فقط ، كاستعمال الخرائط والصور وأحداث التاريخ والمعارك ، وأشرطة التسجيل والبيانات ، ودراسة أذواق الشعوب والأفراد ، ومعرفة عاداتهم ، وتقاليدهم وهوياتهم وتطلعاتهم ، وموروثاتهم ونفسياتهم .

* * *

أهداف الدعوة

إن رسالة الإسلام رسالة إصلاح شامل للفرد والجماعة ، وإحياء كامل لكل إنسان ، وتجديد لمفاهيم الحياة وتحقيق الخير والصلاح والسعادة ، وتربية النفس الإنسانية ، وإيجاد المجتمع الفاضل ، وتكوين المسلم النموذج الصالح ، عن طريق بث ونشر وغرس تعاليم الإسلام ومبادئه العامة والخاصة . قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

ويهدف الدعاة المسلمون إلى تحقيق ما يلي :

١ـ **بناء العقيدة الصحيحة** : بغرس أصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر في النفس الإنسانية . وهذا الأصل يشتمل على عنصر الربانية (أي إن الله هو الرب مصدر كل نعمة وتربية) وعنصر الوحدانية (أي إن الله واحد لا شريك له) وعنصر العبودية (أي خضوع الإنسان لله وحكمه وشرعه) .

٢ـ **التوجيه نحو العبادة النافعة** : بتطبيق أركان الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

٣ـ **غرس مبادىء وأصول الأخلاق القويمة والفضائل السامية** : من حب الخير وصفاء النفس والتسامح ، وترك الغل والحقد والحسد ، والتحلي بالإخلاص ، والصدق والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وعمل المعروف ، وترك المنكر والفواحش ، والتواضع والتخلص من داء

الغرور والكبر ، والخداع والمكر ، وتوافر الثقة والاطمئنان والأمانة في كل شيء ، وإتقان الأعمال ، والترفع عن الظلم والغبن والاستغلال الظالم ، والغش والخيانة في المعاملات ، ونحو ذلك من الأخلاق الشخصية والاجتماعية ، وقوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإصلاح الفرد والجماعة .

٤ـ **حماية حقوق الإنسان** في الكرامة الشخصية والحرية والعدالة وترسيخ معاني الأخوة الإيمانية ، والمساواة بين الأفراد في الإنسانية ، وبين المؤمنين برسالة الإسلام ، وحفظ حق الحياة وترك العدوان ، وإقرار مبدأ السلم ، ونشر ألوية المودة والمحبة بين الناس جميعاً ، من غير تفرقة بسبب جنس أو دين أو عرق أو لون أو عنصر .

٥ـ **النهوض بمستوى الرجل والمرأة والأمة والمجتمع** : في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، والتركيز على إلزامية العلم وفرضيته على كل مسلم ومسلمة . والحرص على تقدم الأمة صناعياً وعمرانياً وزراعياً وغير ذلك من ألوان الخدمات الترفيهية كلما أمكن ذلك ، وعلى ألا يخل التوجه بالقيام بواجب العبادات المفروضة .

٦ـ **توفير عنصر الاستقرار والأمان والاطمئنان للفرد والأسرة والمجتمع** : باحترام حق الحياة ، وحق الملكية ، وتوفير فرص العمل ، والعناية بالصحة والشعور بالأمن في مناحي الحياة ؛ لأن استقرار المجتمعات يحقق السعادة ، ويزيد الإنتاج ، ويؤدي إلى الهناءة والراحة والطمأنينة .

٧ـ **قوة الجيل أو الشباب وإعداد الأمة للجهاد** : حتى لا يتجرأ العدو على المساس بحقوق المسلمين وشعوبهم ، وثرواتهم ، وبلادهم وممتلكاتهم ، وتكون الروح الجهادية العالية سبباً في الحفاظ على عزة

النفس وكرامة الأمة ، وقوة الدولة ، قال الله تعالى : ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج : ٧٨] وقال سبحانه : ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

٨- **الحرص على توفير السلام العالمي** : واحترام المواثيق والمعاهدات ، ومقاومة الإرهاب غير المشروع ، أي في غير حالة إعلان الحرب للدفاع عن المسلمين ، وصون كرامة بلادهم وحرياتهم ، أو من أجل رد العدوان عن المستضعفين ، أو حماية الدعاة المسلمين .

* * *

الخلاصة

إن الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر المشتمل على تقدم العلوم والمعارف ، ووجود التعقيدات ، وقوة الأعداء وضعف المسلمين ، تحتاج إلى مهارة فائقة ، كأحذق الأطباء ، وإلى علم وحكمة واعية ، ودراية كافية ، وتوفيق إلهي دائم ، وجهاد مستمر وصبر ومصابرة ، وتضحية وإخلاص منقطع النظير .

وهي واجب إسلامي متجدد يقع على عاتق الدول الإسلامية وحكوماتها والأفراد والجماعات الإسلامية ؛ لأن الأمة الإسلامية بعلمائها وشعوبها ملزمون بالقيام بعبء وراثة المهام النبوية في تبليغ دعوة الله ودينه وشرائعه وأحكامه إلى الأجيال والشعوب في كل مكان وزمان ، إذ إنها دعوة ذات نزعة عالمية تتطلع إلى تحقيق الخير والسعادة لكل إنسان ، وتعتمد على نشر لواء التوحيد الإلهي ، والوحي الرباني ، وبيان مصداقية القرآن الذي يصدق الكتب السابقة ، ويهيمن عليها ، ويصحح مسيرتها ، ويعدِّل أحكامها ، بما يتفق مع خلود الإسلام ، وكونه خاتم الرسالات الإلهية ، وشريعة الحق والعدل والسلام ، والمحبة الخالصة للبشرية إلى يوم القيامة . وتوج كل هذا بالأمر القرآني بالدعوة في قوله تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

ومما ينبغي التنويه به أن انتشار الإسلام في المشارق والمغارب يعتمد على قوة ذاتية في مبادئه وتعاليمه ، وكونه دين الحق الموافق

للواقع دون تزيد ، ولا نقص ، وكونه نور الله الأبدي لإصلاح الحياة البشرية .

وليس القصد من تبليغ الدعوة الإسلامية للعالم : هو التوصل لأغراض نفعية أو تحقيق مصالح مادية ، أو لبسط النفوذ والسيطرة ، وإنما من أجل الأخذ بيد الإنسان ليكون سعيداً في الدنيا والآخرة ، على أساس من العقيدة الصحيحة ، والعبادة المشروعة ، وضبط نظام المجتمع بأصول محكمة من الضوابط التشريعية المجردة والأخلاق الكريمة ، والبعد عن الشرور والمظالم ، ودفع الظلم والعدوان ، وصون معالم الحق والخير والسلام ، ومجاهدة الظلمة والمعتدين .

وليس هذا التبليغ أيضاً لهوى في النفس ، أو رغبة في جعل الأمة الإسلامية أكثر الأمم وأقواها ، وإنما ذلك تنفيذ للأوامر الإلهية بنشر الإسلام وتعريف الناس به . والمأمور بالدعوة : هم كل من يتمكن من إبلاغ الناس مضمون رسالة الإسلام في العقيدة والعبادة والمعاملة . والمدعوون : هم كل شعوب العالم ، أياً كانت عقائدهم ، وثنية أو كتابية سماوية في الأصل ؛ لأن ﴿ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ولأن ﴿ ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ .

وعالمية الدعوة الإسلامية سبب آخر في ضرورة تبليغها لجميع الناس ، والأدلة على تلك العالمية منصوص عليها في صرائح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كما أن هناك أدلة موضوعية ذاتية على العالمية من كون الإسلام دين الفطرة والحرية والسماحة واليسر والبساطة ، والتوافق مع العقل والعلم ، واحتضانه بحق مفاهيم الحرية المنظمة ، والعدل ، والسلام ، والمساواة والشورى ، نظرياً وعملياً ، وتلاقيه مع أصول الأديان السابقة في الاعتقاد والفضائل وأصول الدين ،

وكونه دين الوسطية والاعتدال ، والتوافق مع حاجات الإنسان الجسدية والمعنوية والروحية . وكانت هذه المقومات سبباً جوهرياً في انتشار الإسلام ، كما أخبر النبي ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها » . ويمكن تلخيص مقومات دين الله أو الإسلام المعروف : بأنه دين الحق والنور المبين ، الكاشف عن كل خير ، والداعي إلى كل فضيلة كما أسلفت القول .

ومنهج الدعوة الإسلامية : التصدي المباشر لواقع الحياة وقضايا العقيدة ، واستيعاب كل ألوان النشاط الفكري والمادي ، وعلاج علاقات الإنسان الثلاثة : علاقته بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بمجتمعه ، والحفاظ على أصالة التدين والتجاوب مع مقتضيات المعاصرة ، ومراعاة اليسر والسماحة والمرونة في الاجتهاد في المستجدات الفقهية ، ودفع عجلة التقدم أشواطاً ، لكن على أساس من الدين والدنيا ، دون فصل الدين عن الدولة ، أو فصل الدين عن المجتمع .

والدعاة المسلمون يستطيعون بسهولة تجاوز مصاعب الدعوة ، ومن أهمها تخطي حاجز العقائد الأخرى ، والمفاهيم الحضارية السائدة ، على أساس من النقاش والحوار الهادئ ، والإقناع العقلي ، والبرهان الساطع ، فإذا اعتمد بعض المبشرين على تقديم المال والخدمات الصحية والمعيشية ، فإن المسلمين يعتمدون في الدرجة الأولى على الفكر والواقع معاً .

ومن أهم وسائل الدعوة الإسلامية ومنهجها : هو محاكاة القرآن في مجادلة أهل الكتاب ومناقشة المشركين ، والتأسي بسيرة النبي ﷺ في

منهج دعوته في العهد المكي والعهد المدني .

ويتصدى الداعية للمشكلات الفلسفية ، مثل قضايا الوجود والكون ، والمعرفة ، والقيم والمعايير الأخلاقية : الاجتماعية والفردية ، وقضايا المال والاقتصاد والنزعات والميول الخاصة ، والتجارب الفردية الرأسمالية والاجتماعية المشتركة .

ويستعين الداعية في تبليغه الدعوة الإسلامية بالقول بأنواعه المختلفة من حوار ومحاضرة ، ووعظ ، وخطابة ، ودروس ، وأمر بالمعروف ونهي عن منكر ، وبالفعل من توجه نحو الخير ومناصرة أهله ، ومقاومة الشر ومحاصرة أعوانه ، وبالتأسي بالقدوة الحسنة في التزام السيرة الطيبة والأخلاق الحميدة وتطابق القول مع العمل . ولا بد من الإشارة إلى أن دور المسجد والمراكز الإسلامية في العالم ، والاستعانة بفنون الإعلام المعاصرة من أهم وسائل نشر الدعوة وإنجاحها .

وأهداف الدعوة الإسلامية كثيرة تدور حول محاور بناء العقيدة الصحيحة ، والإيمان الراسخ ، وتصحيح العبادة ، ونشر الفضيلة والأخلاق ، وترك المنكرات والفواحش ، وحماية حقوق الإنسان وصون الكرامة الإنسانية ، والنهوض بمستوى الفرد والجماعة ، وتوفير عنصر الأمن والاستقرار والسلام ، والاطمئنان على الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، وهي مقاصد الشريعة وأصول الدين الكلية . والاعتماد على فرضية الجهاد لمقاومة العدوان ، ونصرة الحق واسترداد الحقوق المغتصَبة ، ودعم السلم العالمي ، واحترام المواثيق الدولية والمعاهدات الخاصة والعامة ، وإنكار الإرهاب والإكراه على الدين ، وحماية المستضعفين والدعاة المسلمين .

وبكلمة موجزة : إن نجاح الدعوة الإسلامية منوط بشخصية الداعية

وحكمته ونشاطه وأسلوبه القائم على الأناة ، والصبر والإخلاص ، والكياسة والفطنة والذكاء ، والتكيف مع الواقع ، دون نسيان المبدأ والغاية ، أو الهدف والمصير . وإن غير المسلمين إن استجابوا لدعوة الإسلام ـ دعوة الحق والتوحيد والعدل والفكر الحر غير المقيد بقيود الوراثة والتقليد ـ حققوا لأنفسهم خيري الدنيا والآخرة . ويتجسد كل ما ذكر في قوله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

* * *